اللغة العربية وآدابها الواقع والتحديات

الأستاذ الدكتور عيسى امحمد البجّاحي

كلية القانون والشريعة نالوت، جامعة الجبل الغربي، ليبيا

ملخص البحث

نحاول في هذه المشاركة أن نجتهد، للتعريف باللغة العربية التي حسب اعتقادي لا مثيل لها في اللغات القائمة في العالم والتي فاقت في عددها الآلاف، وذلك نظرا للميَّز التي ستُذكر في البحث، وهو حسب ما ورد في العنوان المذكور، وما فيه من قضايا تفرض علينا ونحن كمسلمين، بغض النظر عن أصولنا، أو لغاتنا الأصلية، ولا لمواقع تواجدنا الجغرافي على أنحاء المعمورة، وإنما مجرد أننا مسلمون والحمد لله، أن يكون لنا انتماء وخصوصية نحو هذه اللغة، لغة القرآن التي شُرفت بنزول خاتم الرسلات بها، وبكتابة ما ختم ونسخ كل الرسالات السماوية بها. من هنا سنحاول الكتابة في اللغة العربية وأدابها، والعمل على عرض واقع اللغة العربية، منذ نزول الرسالة المحمدية وما تلى ذلك حتى يومنا هذا، وما يجب علينا فعله بسبب التحديات والتراكمات وغيرها من المسائل التي أشرنا لها من خلال العنوان والنقاط المذكورة ومحاورها التابعة لها. وهو ما نجده في طيات هذه المشاركة في حالة اكتمالها. إذ نتعرض فيها للغة وأدابها ودورها ومكانتها وعلاقتها باللغات الأخرى، وما له علاقة بالدراسات القرآنية والبلاغية والأدب الإسلامي. فمن خلالها سنوضح تلك الجزئيات وتلك الدراسات، وأهميتها بالنسبة للغة والشريعة وأحكامها واستمراريتها، باعتبار أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، وبدون اللغة وتطورها فلا تستطيع الشريعة أن تستمر وتتفاعل مع الأحداث ولا تستطيع مواكبتها في الأحكام وما يتبع ذلك. وعليه فمن خلال هذه المشاركة، قد نستطيع أن نبيِّن أهمية هذا الموضوع، ونعالج بعض الإشكاليات التي تخص اللغة ووضعها الحالي، مع الوقوف على الأهداف المنشودة من خلال مشاركتنا هذه .

إن اللغة العربية وُجدت كغيرها من اللغات في العالم ومنذ القدم، ولم تكن في واقعها ناضجة ومكتملة حسب ما هي عليه الآن؛ وإنما كانت عبارة عن عدة لغات أو لهجات تلهج بها تلك القبائل العربية المتناثرة عبر صحراء الجزيرة العربية، ولا تربطهم رابطة، اللهم إلا رحلة الشتاء والصيف وما تأتي به من الشمال، أو ما سبق الإسلام بفترة وجيزة في سوق عكاظ، وما كان يجري فيه من تباري بين فحول القبائل من شعر ونثر، وهو ما ساهم في نموّ ونضج هذه اللغة، حتى أن جاءها أفصح من نطق بها، وهو سيِّد الكائنات وخاتم الرسل والأنبياء محمد بن عبدالله النبي الأمي(1) صلى الله عليه وسلم.

إذ رفع الغمة وأنقض الأمة وغيَّر الواقع والتاريخ، وكلّ سبل الحياة بما فيها اللغة العربية، التي شرَّفها الله تعالى بنزول القرآن الكريم بلسانها(2)، حيث آخا بينهم وبين لغاتهم ولهجاتهم المتعددة، فظهرت العربية الفصحى(3) وهي في ثوبها الجديد، من خلال ما نزل بها من آيات بيِّنات، بما تحمله من معاني ومصطلحات وقيم إيمانية ربانية جديدة، ويُدعى من خلالها الجميع للإيمان بالله، وما يتطلب ذلك من أسس عملية وقولية جمة، تتمثل فيما يُعرف في الإسلام بأركان الإسلام الخمسة.

فاللغة العربية رغم وجودها قبل الإسلام، ورغم ما وُجد فيها من شعر قد لا يضاهى حاليا، ومن نثر راقٍ لا يزال يحتفظ بمكانته وبريقه بل وجدته وطرافته، إلا أننا نستطيع أن نقول أن العربية لم تنضج ولم تكتمل في صورتها المثلى إلا بعد ظهور الإسلام ونزول القرآن بها، وما تبع ذلك من خطوات بناءة وجليلة وفاعلة بما تعنيه الكلمة.

واللغات كلها عبارة عن كائن حيٍّ ينمو ويتطور(4)، حسب الظروف والإمكانيات التي تقتضيها التطورات البشرية والعلمية في مختلف مجالاتها، وما يتبع ذلك بخصوص الأحكام الشرعية بالنسبة للعربية خاصة، التي يجب عليها ودون اللغات الأخرى أن تواكب كلّ التطورات وما ينتج عنها من علوم وقضايا مختلفة، لتتماشى ومبدأ أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان.

وهذا ما يفرض على العربية من أن تكون لغة حيَّة متطورة ونامية ويقضة في نفس الوقت؛ ولا تتوقف عند حدٍّ أو زمنٍّ ما؛ لأن العربية بعد الإسلام أصبحت لغة دين وأي دين إنه دين الإسلام الذي يعني الجميع ودون استثناء، وبذلك أصبحت تعني الجميع وعليها رسالة عظيمة لا مثيل لها بين اللغات في العالم.

ألا وهي رسالة الإسلام الخالدة، فالعربية قبل الإسلام رغم أنها نمت وارتقت حسب ما هو موجود، ومثالنا في ذلك ما نراه في المعلقات السبع أو العشر التي تعد أفضل ما أنتجه الشعراء العرب، وغيرها من أوجه الأدب التي لا تخفى على أحد، ولكننا لا نَشْتَمُّ منه إلا رائحة سوق عكاض وما كان يجري فيه من خمر وتعامل بالرباء وجواري وربما حتى وأذ للبنات، فلننظر لقوله تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدَهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَانِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ}[43 الزخرف 16]، في الوقت الذي انقلبت فيه هذه اللغة، فيما بعد إلى نصوص قرآنية منزَّلة من رب العالمين، وأحاديث نبوية شريفة ممن لا ينطق عن الهوى عليه الصلاة والسلام، وكلها تدعو للإيمان ونبذ الكفر والإلحاد والخيانة.

وهو ما جعل الناس يدخلون في دين الله أفواجا، واختلط بسبب ذلك العرب بالعجم، ما جعل اللغة في وضع جديد، إذ دخلها على اثره اللحن وأصبح الخطأ متفشيا حتى وصل آيات الكتاب المقدس ألا وهو القرآن الكريم.

وهو ما جعل العرب يفزعون ويفكرون فيما بعد، في كيفية الحفاظ على لغتهم وتخليصها من اللحن المتفشي والنامي بينهم. وذلك ما كان سبباً في ظهور بعض العلوم أو القواعد التي تعالج تلك القضايا، وهو ما اعتبرنا بسببه أن العربية لم تكتمل ولم تنضج إلا بعد الإسلام، وهو ما قد نبرهن عليه فيما بعد.

فلنلاحظ كيفية ظهور ما يسمى بالنحو وأسبابه وأهميته بالنسبة لما هو آتٍ

فعلم النحو لم يكن موجودا عند العرب، ولم يكونو هم في حاجة إليه، فلغتهم وكما يقول المثل يُرضَعونها في الحليب، من أهل البادية، وذلك باعتمادعم على السليقة، التي كانوا يمتازون بها قبل الاختلاط بغيرهم في صحرائهم وبواديهم.

ولكن وبعد انتشار الإسلام واتساع رقعة الأمة جغرافيا وعدديا. واختلط الحابل بالنابل، وأصبحت اللغة مهددة، وتجاوز اللحن الكلام العادي إلى كتاب الله العزيز الأمر الذي أفزع العلماء منهم.

ومن ذلك ما روي أن أعرابيا قدم على عمر .. يطلب منه أن يدله على من يقرئه شيئا من القرآن، بعد أن كان قد أقرأه رجل سورة التوبة، فقال: {أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ}[9 التوبة 3]. بكسر اللام عطفاً على المجرور، فقال الأعرابي: أو قد برئ الله من رسوله؟! إن يكن الله تعالى برئ من رسوله فأنا أبرأ منه، فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه، فقال يا أعرابي أتبرأ من رسول الله صلَّى الله عليه وسلم، فقال: يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن فسألت من يقرئني القرآن، فأقراني هذا سورة براء، قال: {أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ} فقلت: أو برئ الله تعالى من رسوله؟ إن يكن الله تعالى بريئا من رسوله، فأنا أبرأ منه، فقال عمر: ليس هذا يا أعربي، فقال الأعرابي: كيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال {أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ} فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ ممن برئ الله ورسوله منهم: فأمر .. أن لا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة(1).

ومثال ذلك كذلك ما روي أن الحجاج كان يقرأ "المجرمون" في قوله تعالى: {إِنَّا مِنَ المجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ}[32 السجدة 22]، وفي قوله تعالى: {قُلْ إِن كان ءابَآؤُكُمْ وَأَبْنآؤُكُمْ وإِخْوَانُكُمْ ... أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ}[9 التوبة 24]، كان يقرأ برفع "أحب" وقياسه النصب.

وقيل أن الحجاج أمّ قوما فقرأ {إِنَّ رَبَّهُم بِهِم يَوْمِئِذٍ لَّخَبِيرٌ}[100 العاديات 11]، بفتح همزة إن، ثم تنبه إلى اللام في "لخبير" وأن قبلها لا يكون إلا مكسورا فحذف اللام منها.

ومن ذلك أن أعربيا سمع أبا الحسن البصري(2)، يقرأ قوله تعالى: {وَلَا تُنْكِحُوا المشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا}[2 البقرة 19]، بفتح تاء تنكحوا بدل ضمها، فقال الأعرابي: سبحان الله هذا قبل الإسلام قبيح، فكيف بعده! قيل له إنه لحن، والقراءة: ولا تُنكحوا، بالضم، فقال: قبحه الله، فلا تجعلوه بعدها إماما فإنه يحِلُّ ما حرَّمَ اللهُ.

وقد بلغ اللحن في كتاب الله إلى حد يؤدي إلى الكفر والعياذ بالله، فقد روي أن سابقا الأعمى كان يقرأ: {الخَالِقُ البَارِئُ المصَوِّرُ}[59 الحشر 24]، بفتح الواو بدل كسرها، وكان ابن جبان يقول له إذا لقيه: يا سابق ما فعل الحرف الأخير، تشرك بالله(3).

فمثل هذه الأسباب وغيرها هي التي جعلت العلماء يفزعون لنصرة لغتهم وحمايتها من الضياع، وعلى ضوئه ظهرت العديد من العلوم التي لم تعرفها العربية ولم يكونوا العرب في حاجة إليها فيما سبق، وهو ما ساهم في نمو اللغة وتطورها، إذ ظهر ما يعرف بالنحو العربي، وتم تقنين قواعهده من مصادر عده أهمها كان الشعر(4) والقرآن الكريم.

فهو وكما يذكر مهدي المخزومي في قوله: "وهو أصدق مرجع، وأصح مصدر يرجع إليه النحاة في تقنين القوانين واستخراج الأصول"(5).

وكما احتيج للنحو كانت الحاجة كذلك للعديد من العلوم الأخرى التي ظهرت فيما بعد، كالصرف وعلم المعاني والبلاغة وغيرها من الفروع التي يحتاج إليها المفسِّر لتلاوة القرآن تلاوة صحيحة وكما أنزل على صاحبه عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، والأهم من تلاوته هنا هو فهم معانيه وذلك لاستنباط الأحكام التي أنزل القرآن من أجلها.

فالعربية ليست غاية في حد ذاتها وإنما هي الوسيلة التي لا يُفهم القرآن ولا يمكن الوصول لمكنونه إلا بالتضلع فيها هي وعلومها المختلفة. وعلى إثر ذلك ظهرت العديد من المؤلفات لذات الغرض، ككتاب أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي لعفيف دمشقية، وأثر القرآن الكريم في اللغة العربية، للشيخ أحمد حسن الباقوري، وغيرهما من المؤلفات.

وظهرت المتون والشروح والحواشي على اختلاف أنواعها ومسمياتها.

ونمت وتجذرت اللغة في نموها وتطورها كما هو ظاهر ومألوف عند الجميع.

ولكن وفي نفس الوقت فلا ننسى ولا يغيب عن أذهاننا، أنه وكما لاحظنا ورأينا أن هناك من هو حريص على بنائها وتطورها واستمراريتها، نجد كذلك من هو يعول ويشتغل ضدها ويعمل على طمسها والقضاء عليها، والاشتغال ضد اللغة في الواقع لا يعني أنها هي المنشودة والمقصودة في حد ذاتها، وإنما الغاية والغرض والهدف الأساسي فهو أبعد وأخطر من ذلك.

فالمقصود والمنشود الأمثل في هذا هو ذلك الدين القويم، الذي غيَّر العالم ولا يزال يحيِّر الكثيرين ممن لا يهدأ لهم بال ولا يرتاح لهم ضمير إلا وإن قضوا عليه.

ومن تلك الوسائل التي يتخذونها في ذلك بعد فشلهم مرارا وتكرارا، باعتبار أن اللغة هي إحدى مقوماته وإحدى وسائل استيعابه وفهمه والحفاظ عليه هو وأحكامه وتشريعاته، المتمثلة في القرآن الكريم الذي يحوي كل مكوناته ومستلزماته، وهو ما نجده في قوله تعالى: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابَ مِنْ شِيءٍ}[6 الأنعام 38]، والكتاب الذي تكفل الله تعالى بحفظه، كما في قوله تعالى: {نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَى وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونْ}[15 الحجر 9]، فلم يبق لهم إذا سوى اللغة، وخاصة بعد فشلهم فيما كان يتأملونه من وراء الحروب الصليبية(1) وما كان بعدها من دسائس ومؤامرات. وفي الواقع فهم لم يتركو هذا ولا ذاك. ولهم في ذلك أساليب وألاعيب وتجارب عدة ومتنوعة لا تحصى في عددها ولا في أشكالها ولا في ألوانها.

منها أن العربية أصبحت لا تواكب العصر، ويجب الاهتمام بما يسمى باللغات الحية، وأن العربية وكما هي معروفة فهي لغة بدو ولا تصلح لمجتمع متحضر، وأنها لغة شديدة الصعوبة عسيرة في قواعدها، وعليه فهم ينادون بالحرف اللاتيني بدل الحرف العربي الأصيل ولا بد من التجديد، وهو ما نادى به ومنذ زمن بعيد ابن مضاء القرطبي(2) في كتابه الرد على النحاة، ولكن سلاحه كان غير ماضي بل مما كان سبباً في ظهور العديد من المؤلفات، فكثرت الشروح والمختصرات التي تخدم لغة القرآن وتستمد منه الأحكام، فظهرت مؤلفات لابن الحاجب، وابن مالك، وابن هشام، وأبي حيان الأندلسي والسيوطي والأشموني وغيرهم.

وفي أوائل القرن العشرين عاد صوت ابن مضاء من جديد في آدان فئة من العلماء فطالبوا بالتيّسير، أمثال: إبراهيم مصطفى وكتابه إحياء النحو، وقد رد عليه محمد عرفة في كتابه النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة، الذي طبع في عام 1937م.

كما ظهر للوجود تيّسير قواعد تدريس اللغة العربية، وهو من تأليف طه حسين(1) الذي طبع في عام 1938 م. وكتب أخرى لأحمد أمين، وإبراهيم مصطفى، وعلي الجارم، ومحمد أبي بكر إبراهيم، وغيرهم إذ رَدتْ عليهم لجنة ألفت بدار العلوم المصرية، كما ألقى الأمين الخولي في جمعية الجغرافية الملكية سنة 1945م محاضرة بعنوان: هذا النحو، غايته منها القضاء على الإعراب، وغيرها من المحاضرات والمقالات، الغرض منها إبعاد المسلمين عن اللغة التي يفهمون بها كتاب الله وهو بيت القصيد(2).

ولم تتوقف هذه المهاترات والتعديّات بل تجددت وتنوعت، فمنها ما هو يدور حول القضاء على اللغة، ومنها ما هو يقصد مباشرة إلى اللب المنشود أي القرآن الكريم، الذي يُعد بمثابة العمود الفقري لهذا الدين وأساس هذه الأمة، فبالقضاء عليه يصبح الدين جسدا بلا روح وبالتالي يسهل ابتلاعه وهضمه.

وعليه فقد تعددت وتنوعت تلك المؤامرات في أشكالها وأنواعها وأصحابها.

ومن تلك الأفعال الخسيسة والمؤامرات الدنيئة، ما نجده فيما تصدى له د. عمرو خليفة النامي(3)، في مقالاته التي كان يكتبها في الستينات من القرن الماضي، وهو يدافع فيها عن الإسلام وعن لغته العربية، وهو ما يعتبر ردا على بعض أولئك الأدباء والكتاب، أمثال طه حسين، والمستر "وليم جيفورد بالكراف"(4)، والصادق النيهوم(5) وغيرهم.

ورده الذي كان عن د. طه حسين، سببه ما جاء في كتابه " في الشعر الجاهلي"، الذي كان يلقيه في صورة محاضرات على طلبة كلية الآداب في الجامعة المصرية حينذاك، إذ شكك حسب قوله في الشعر الجاهلي(1)، وقرر أن كثيرا من حقائق القرآن موضوعة أيضا(2).

ومما كتبه في ذلك، رده عن المستر "ويليم جيفورد بالكراف"(3)، عندما قال: "متى توارى القرآن ومدينة مَكَّةَ عن بلاد العرب، يمكننا عندئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة، التي يُبْعِدُهُ عنها إلا محمد وكتابه"(4).

ورد كذلك عن الصادق النيهوم(5) بسبب كتاباته ومقالاته التي كانت ترد في صحيفتي الحقيقة والرائد الليبيتين، والتي كان يردد فيهما أفكارا ضالة حول تفسير القرآن، يدعو فيها إلى تفسير القرآن حسب الرَّمز ويبطل بذلك المعجزات الربَّانية(6).

وكذلك مقالته التي كانت بعنوان: "إلى متى يبقى المسيح بدون أب"(7)، فرد عليه النامي في صحيفة العَلَمْ الليبية(8)، وفي مقال كان بعنوان: "رمز أم غمز في القر آن"(9).

ومما سطَّره النامي ومن خلال ردوده على أولئك المتجنّيْن على اللغة وعلومها ومصادرها وآدابها المختلفة.

نجد قوله: "وقد بذلت أجهزة الصَّليبية والصهيونية الكثير من الجهود للحيلولة بين المسلمين وقُرآنهم، بما أتيح لهم،.. وكانت لتلك الجهود مظاهر عِدَّةٌ.

على أن أخطر طريق سلكه هؤلاء، هو تحميل آلة الهدم لمن يسهل عليهم ذلك، ولا يُسْتَنْكَرُ منهم الأمرُ في عُنفٍ سافرٍ أو عداءٍ ظاهرٍ، وكان أن حَمَّلوا آلة الهدم لأسماء مسلمة، وظهرت بين المسلمين أصوات تدَّعِي أسطورة القرآن، وتشكِّكُ في حقائق الوحي، وتَرْجِعُ ذلك إلى غير مصدره العُلْوِيِّ الجليل؛ مدعيَّة تحكيم العلم والعقل، وما إلى ذلك من ادعاءات مختلفة .. إنما هدفها هو التشكيك في القرآن الكريم وزعزعة عقيدة الإسلام في قلوب المسلمين بعد ذلك..

حمل طه حسين . وهو صاحب اسم إسلامي . راية الهدم فأحسن حملها، ومضى بها كما يريد أسيادُهُ، فكان .كما يريدون . أكثر جُرأةً وجسارة..

وأخذت هذه الحملة المسعورة سبيلين رئيسيين:

- قصد أحدهما إلى الحرف العربي فادعَّى قصوره وتعقيده وعدم إيفائه بحاجة الكتبة والمؤلفين، وتعددت الاقتراحات باختراع حروف جديدة للغة العربية.. وأذكر أن هذه الشطحة قد وصل صُحُف طرابلس.. بلغ الأمر أن اقترح بعضهم استبدال الحرف العربيِّ الشريف بالحرف اللاتيني(1)، ومن أشهر أصحاب هذه الدعوة في البلاد العربية، المدعو سعيد عقل(2)، وقد اصدر كتابا طبعه بالحرف اللاتيني فعلا ..
- والسبيل الثاني لهذه الحركة هو ذلك التحَّامل الشديد على أسلوب النَّحو والقواعد اللغوية للغة العربية .. ووجدوا من دعا إلى نحو جديد، ومن كتب نحوا جديدا.. وإلى جانب هاتين الصُّورتين، برزت دعوة أخرى ذات نهج رهيب، وهي الدعوة إلى العامية، وبدلا من أن نرفع العامة إلى لغة القرآن التي تُحْيينا بهديه ونوره، صرنا نهبط إلى مستوى السوقة، نتلطف شهواتهم، ونستلطف عواطفهم ونتذلل لعقليتهم"(3).

فتلك كانت بعضا من الأمثلة التي أوردناها عن اللغة العربية، وما كانت عليه في السابق وما تعرضت له في تاريخها المعاصر سواء أكان إيجابيا أو سلبيا.

وهو ما يفرض على الجميع التنبه واليقضة لما يحاك ضد هذه اللغة، ولكن يجب وفي نفس الوقت ألا تأخذنا العاطفة والإنتماء وننسى ما يجري في العالم، كواقع حي وملموس، وهو سريع الخطى ويتقدم تقدما جبارا ومذهلا في نفس الوقت، وهو ما يفرض على اللغة وأصحابها التنبُّه وأخذ الحيطة والحذر، وإلا فالزمن له القدرة على تجاوز كل متوقف ودون تمييز.

فهذه اللغة التي تكفَّل الله تعالى بحفظها(1) والتي لا ننكر أننا في حاجة إليها، ولا يمكن أن نستغني عنها ولو أوتينا علوم الأولين والآخرين في اللغات الأخرى، لأن هذه اللغة فهي أم اللغات تمثل الإسلام الذي هو ديننا ومنبع ثقافتنا، الذي قال فيه سبحانه وتعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمَ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهَوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ}[3 آل عمران 84].

إذن من هنا فتعلُمنا للعربية وسعينا في سبيلها، لم يكن وكما ذكرتُ فيما سبق هو من باب الترف أو الثراء الزائد، وإنما هو من باب الحاجة والحاجة القصوة والملحّة، في هذا العصر المنعوت بالإمبريقي(2).

لأن ما يشدنا أو يربطنا بهذه اللغة هو ليس ما نجده فيها من شعر مقفى ولا ما فيها من نثر وأدب منمق فقط، وإنما يشدنا إليها ما جاء بها من آيات قرآنية كريمة، كالتي مرت بنا فيما سبق، وغيرها من الأحاديث النبوية الشريفة، التي جميعها تنادي للإيمان بالله وتدعو إلى العمل الصالح.

ومثالنا في ذلك قوله تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ}[38 ص 28].

ونحن وفي الواقع قبل هذا المؤتمر وبعده ولله الحمد مسلمون، فما جاء في هذه الآية وغيرها من الآيات القرآنية الكريمة، يعنينا بل نحن مطالبون بفهم القرآن وتدبُّره واستيعاب ما جاء به، وذلك حتى نتمكن من القيام بواجباتنا نحو خالقنا ورازقنا ومعبودنا، على أكمل وجه في كل ما جاء ونادى به في نطاق أركان الإسلام الخمسة من الالتزامات التي لا يكتمل إيماننا إلا بها.

وهذا لا يتأتي إلا بوسيلة واحدة لا ثاني لها، ألا وهي العربية التي نجدها هي وبقية علومها بيت القصيد في هذا المؤتمر ومحاوره ومن دُعي إليه من كرماء البحاث والمختصين في هذا المجال من شتى بقاع الأمة الإسلامية.

وعود على بدء فلنرجع لكلمة التدبُّر، التي وردت في الآية الكريمة، والتي مرّت علينا منذ حين وقصدناها منذ البداية.

وحتى لكي نتمكن من فهمها واستيعابها حسب السياق الذي أتت فيه خلال الآية الكريمة والمذكورة، نحتاج للوسيلة التي تُمكننا من ذلك، وهي اللغة التي وردت بها تلك الكلمة في تلك الآية النازلة من رب السماوات والأرض وهو يخاطب عباده المؤمنين المخلصين، فيما هو واجب في حق الإيمان وحق الإخلاص، كما في قوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدْ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ أَلَا للهِ الدِينَ الْخَالِصِ}[39 الزُّمَر 2،3].

ولا حلَّ لنا في هذا سوى التسليم بما هو موجود وقائم في هذه اللغة من وسائل فهم واستيعاب للعربية هي وعلومها وفروعها المختلفة، لنتمكن من فهم القرآن وتدبُّره والأخذ بمعانيه كاملة، وبالتالي أحكامه المنشودة من وراء العملية المعقدة التي تبدأ من بداية نزول القرآن من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، ومنها عبر جبريل عليه السلام إلى النبي الأمي صلى الله عليه وسلم. ثم ما تلى ذلك من خطوات حتى يومنا هذا المنعوت كما ذكرنا بالعصر الأمبريقي، والغرض من ذلك هو ليس التغني بألفاظة ولا التباري على تلاوته وحفظه والتفنن في ذلك، بقدر ما هي مسؤولية عُرضت على الجبال فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا.

وعلى هذا الأساس فما يجب نحو العربية والتحديات المعاصرة لا تنتهي ولا تتوقف عند ما ذكرناه أو أشرنا إليه فحسب، وإنما مسؤولياتنا أكبر وأعظم من ذلك، وهي كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "لقد عدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر آلا وهو جهاد النفس"(1).

فما ذُكر هنا لا يمثل حتى الجهاد الأصغر، أما الجهاد الأكبر والمعنيين به بخصوص هذه اللغة والتحديّات المعاصر التي تتصدى لها هي ورسالتها الخالدة، المتمثلة في نشر الإسلام وإيصاله لكل بقاع العالم، واعلام أولئك البشر وافهامهم لهذا الدين، وهو واجب الجميع ويقع علينا ودون استثناء، فنحن وحسب الواقع القائم مقصِرُّون في حق الله ودينه القويم، فالأمة وحسب ما يجري في الساحات نراها ضائعة ودينها القويم يحتضر، بسبب التمزق والتشردم الذي كان من ورائه سرطان المذهبية، فالدين براء منا ومما يجري باسم المذهبية المتعصبة التي تحولت في واقعها وكأنها أديان مستقلة وليست مدارس فقهية أصولها واحدة وهدفها واحد ومصدرها واحد وهو الكتاب

والسنة الصحيحة، فمن أين أتت هذه الترهات التي كانت سبباً فيما نراه ويجري في كل من افغانستان والعراق وسوريا واليمن وفي تونس وليبيا وتركيا وإيران .. والقائمة تطول(2).

ليس هذا هو المقصود من قوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ}[3أل عمران 110].

وإنما المقصود وحسب التحديات المعاصرة للغة والتي يقصدها هذا المؤتمر، تتمثل فيما سبق ذكره بخصوص هذه اللغة والتحديات التي تواجهها، ومن تم الانتقال للخطوة التي تليها وتكملها وهي من الضرويات الأساسية التي لابد منها وإلا فلا معنى لا للعربية ولا لما فيها من علوم وأدبيات، لأن اللغة مهمتها ودورها المنوط بها لا يقل عن الإنسان ووجوده في هذا الكون، فمهمته لا تتمثل في الحياة والأكل والشرب والنوم كبقية الكائنات، وإنما شرَّفه الله تعالى بالعقل والخطاب، وهنا تكون المسؤولية، كما في قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الإِنْسَ وَالْجِنَّ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}[51 الذاريات56].

واللغة التي قصدناها وتحدثنا عنها لا تتمثل مهامها فيما ذكرناه فيها هي وعلومها وآدابها، ونتوقف عند هذا الحد ليُشعرنا بها إمرؤ القيس أو زهير بن أبي سلمى أو عنتر بن شداد، أو لنعي من خلالها ما جرى في حرب الباسوس أو داحس والغبراء، أو لتتغنى وتطربنا بها أم كلثوم وفيروز وغيرهما(1) وينتهي بنا المطاف إلى هذا الحد، لا وألف لا.

فهذه اللغة وخاصة بعد نزول الوحي بها وتشريفها بالقرآن الكريم، أصبحت لها رسالة خالدة ومسؤولية عظمى، ألا وهي نشر هذا الدين وإيصاله لكل أنحاء المعمورة وافهامهم له، وذلك لا يتأتى إلا بالتضحيات والتضحيات الجسام عبر الأيام والعصور، فلكل عصر مسؤولياته وواجباته الملقات عليه، حسب الظروف والأحداث وما يستجد من مواقف وهي قد لا تحصى ونتائجها لا يمكن توقعها أو التنبؤ بها.

فما قصدناه في هذه اللغة التي نزل بها هذا القرآن الكريم وهي اللغة العربية، التي نحن نتتبع خطواتها ونتحسس مضامينها منذ بداية هذه الورقة وكل ما جاء فيها، ذلك كله لنتمكن ونعمل العمل الصحيح، الذي قد يوافق ما أراده الله تعالى في هذا الدين القويم وهو في صورته المثلى.

وهذا لا يتأتى ولا يمكن الوصول إليه، إلا بامتلاك أدواته وأسلحته المناسبة المتمثلة هنا في علوم العربية، وما يتبع ذلك من العلوم والدراسات الإسلامية المكملة لذلك، كمعرفة أسباب النزول ومعرفة المكي والمدني والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه وغيرها من المعطيات والضوابط الأخرى التي لا يمكن الاستغناء عنها بما في ذلك ما وصل إليه العلم من اكتشافات، وما وصل إليه فيما يعرف حديثا بالعالم الرقمي(2)، وما تمكن بسببه من ازالة اللثام بسبب قدراته وإمكانياته، إذ استطاع أن يقرِّبَ ويحل الكثير من المعضلات السابقة التي أصبحت الآن وفي معظمها مدللة وفي متناول اليد لتساعد بظهورها واتضاحها على تدبُّر القرآن والعمل على استيعابه وفهمه الفهم الصحيح وكما ينبغي.

الأمر الثاني في هذا الموضوع والذي نقف عليه من خلال هذه الورقة، وما سبق فيها بخصوص العربية من حيث نشأتها وما تعرضت له في الماضي سواء أكان إيجابا أو سلبا، هو التنبُّه لقضيتين أساسيتين وهما تُعدان من صميم ما نادى به هذا المؤتمر بخصوص التحديات المعاصرة، ولابد منهما بالإضافة لما أشير إليه فيما سبق.

فأولى هذه التحديّات تنحصر فيما يجري في هذا العالم من تطور علمي وتكنولوجي لا يوصفان.

فلننظر مثلا لما استجد في العديد من المجالات كالطب والهندسة والفلك وغيرها من العلوم التي لا تحصى، فاللغة العربية وحسب الواقع الذي نعيشه أصبحت غير قادرة حتى أن تجاري أو تواكب تلك التطورات المدهلة لتترجم ما تعنيه تلك الأسماء والمصطلحات التي استجدت وفُرضت علينا وأصبحنا ملزمين بالتعايش معها أو بالتعامل بها.

فنحن حاليا نعيش في القرن الواحد والعشرين من ميلاد المسيح عليه السلام، وهو ما يُنعت بعصر "العولمة"، الذي انفجرت فيه العلوم التطبيقية والتكنولوجية انفجاراً مذهلاً، لا يمكن لنا مواكبته حتى من حيث تصنيفها، فمثلا في مجال الحاسوب والشبكة العنكبوثية المعروفة بـ"النت"، ظهرت علينا الكثير من المصطلحات والمسميات الجديدة والغريبة عن اللغة العربية وبيئتها.

فنجد في مجال الاتصالات: كلمة "النت"، "والفيس بوك"، "والتويتر" "وآي فون"، "وآي باد" وغيرها.

وفي مجال الهاتف المحمول: كـ"الفايبر"، "والسفت وير"، "واستغرام" وغيرها من المسميات.

وفي مجال الطباعة وأجهزة الحاسوب نجد مصطلح: "الوندوز"، "والديبدي"، "والأبديت" وغيرها من المخترعات والمسميات التي لم نستأنس بها ولم نألفها في العربية ولا نحسن حتى نطقها النطق الصحيح والدقيق(1)، والآن لا نستطيع أن نخطو خطوة واحدة مع العالم إلا باستيعابها والأخذ بها بل والتعامل عن طريقها ومن خلالها.

فمثل هذه القضايا التي تخص اللغة ومنها ما هو فيما يخص المصطلحات، التي تعد في النهاية من مهام أو اختصاصات مجامع اللغة العربية وما ينتج عنها من المعاجم التي لها مجالاتها وتخصاصتها(1).

إذ المصطلح وما يتبعه وهو من مهام واختصاصات المجامع اللغوية، وهي ذات أهمية كبرى في حياة اللغات، وتوحيده مما يزيده أهمية، ويضعف من البلبلة اللسانية في الاستعمال، ولا يتحقق هذا إلا من خلال التخطيط اللغوي وقرار السياسة اللغوية الموحدة، على نطاق الأمة، كما هو معمول به في لغات متقدمة، كالفرنسية حيث تكون جمعية التنميط اللغوي (AFNOR) التي تقوم بوضع المصطلحات وتوحيدها (2).

فاستعمال المصطلح المتعدد والدلالة واحدة يحدث فوضى وربكة فكرية، كما هو الحال في مصطلحي: علم اللغة واللسانيات، فالأول شاع في المشرق العربي، والثاني شاع في دول المغرب الكبير.

والأدهى والأمر هي تلك الخلافات التي نجدها فيما يخص توحيد المصطلح والتي أوصلت المناقشات في بعض الاجتماعات اللغوية أحيانا، إلى درجة تفضيل مناقشة البحوث العربية في ندوات بغير اللغة العربية(3)، تجنبا للخلاف والجدل في الدعوة إلى تعديل المصطلحات الثابتة(4) (5).

والآن إذا تم التساهل في المجامع واشتغل كل على حاله، فسيأتي يوما نجد فيه أنفسنا، وكما كانت الجزيرة العربية قبل نزول الوحي، أي لكل قبيلة بل لكل عشيرة لغتها ولهجتها، وحسب رأي فلا مانع من تعدد المجامع واللجان ومراكز البحث وتنوعها هنا وهناك، ولكنه لابد من تخطيط وتنسيق يجمع الجميع تحت سقف واحد، ولا يُثَبِّتْ أسود في أبيض إلا بعد الاتفاق في لجنة مشتركة تضم كل المجامع وتكون تحت سيطرتها كل المعاجم، ويتولها المختصون حسب قدراتهم وإمكانيتهم العلمية والتخصصية والمهنية والمعرفية، دون النظر لأصولهم أهم من الغرب أم من الشرق أو هم من هنا أو من هناك، وإلا فعلى الدنيا السلام.

القضية الثانية والملحة في هذا الظرف وهي تعد من باب التحديات المعاصرة التي ستستفحل إن لم يُنتبه إليها وتؤخذ بما تستحقه من حسابات وما يترتب عنها من نتائج.

ألا وهي إعادة النظر في قضية تفسير القرآن الكريم، وذلك وفق أسس جديدة ومعطيات علمية عصرية مناسبة، وهذا لا يعني أننا نشك فيما هو موجود من التفاسير وما جاء فيها في السابق، ولا نتهمها كما يقول بعض المتنطعين بأنها كتب صفراء أو نَصفها بالتخلف، فلا وحشا وكلا من هذا وذاك.

فالتفاسير وكما يعلم الجميع، فهي موجودة وستبقى كما هي ولكل مكانته ولكل أسلوبه وأدلته وطرق استنباطه، وما يعتمد عليه في ذلك.

بل تلك التفاسير وما جاء في معظمها فلا يستطيع أحد من الأجيال اللاحقة والحالية أن يتقول فيها، من حيث لغتها وأسلوبها وما اعتمدت عليه في معطيات جمة، ولا ينكر أحد أنه كان لهم السبق في ذلك، من حيث اللغة ومصادرها ومعرفة علومها المختلفة، وما بنيت عليه من خلال ما قام به السلف الصالح الذين هم أقرب وأجدى من غيرهم ومن أتى من بعدهم في ذلك، وهم في هذا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، عندما سئل أي الناس خير، قال: "قرني ثم الَّذين يلونهم ثم الَّذين يلونهم .." (1).

ولكن ومن الناحية العلمية وفيما يخص قضية التفسير لا ننكر أنه ما جاء أو كان في القرن الثالث أو القرن الرابع الهجري، قد يكون أفضل مما كان عليه في القرن الثاني(2)، بسبب ما كان وما ظهر واستجد من علوم في ذلك الوقت تخص اللغة العربية والحديث النبوي وما تلى ذلك في علوم القراءات والتجويد، بسبب ما شهدته اللغة من تطور في علومها وما ظهر فيها واستجد من مستجدات كعلم النحو والصرف والبلاغة وغيرها من العلوم، مثل علم الجرح والتعديل بالنسبة للحديث النبوي الشريف، وما تم بعد ذلك من خطوات بناءة في جانب علم القراءات والتجويد وما تبع ذلك من تطور؛ ولا نستطيع أن نفصل مثل هذه الدراسات عن مصدرها الأساسي وهي اللغة العربية، اللهم إلا من باب الترتيب والتبويب الفني.

لأننا عندما ندرس مثلا حسن الأداء في تلاوة أو في ترتيل القرآن، نجد أنفسنا في ذات اللغة وذات الحروف، إلا أننا ندرسها أو نبحث فيها من جوانب قد تخص ما يعرف بعلم التجويد أو الترتيل، الذي ينشده كل من يسعى في تلاوة للقرآن لتسنُم مرتبة المهرة في تلاوة كتاب الله، والذين ترتقي درجاتهم أحيانا إلى مراتب السفرة الكرام البررة(1).

وهذا يعد فرع من فروع اللغة وآدابها، فهي في النهاية تعد وجوه لعملة واحدة ولا تكتمل القضية إلا بأجزائها أو فروعها المكونة لها.

فمثلا البحث في أحكام التجويد هو يعني البحث في الحروف والتعمق في مخارج الحروف وصفاتها اللازمة والعارضة والوقوف على تفاصيلها الدقيقة، ومن هنا فالتجويد عبارة عن خطوات يجب أن يتبعها القارئ أو التالي للقرآن الكريم، حتى يتمكن من ترتيله كما أراده وطلبه مُنزِّله من نبيِّه في قوله تعالى: {وَرَتِّلْ الْقُرآنَ تَرْتِيلاً}[73 المزَّمِّل 4]، وذلك لا يتم إلا بمعرفة تلك الأحكام وتلك الشروط فيما يخص المصطلحات العربية وما يجب فيها.

والتجويد في واقعه يُعد من صميم اللغة، فهو وكما يذكر أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني(2): ".. قطب التجويد وملاك التحقيق معرفة مخارج الحروف وصفاتها"، ..كما يضيف أيضا: ".. هو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها.. من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف"(3).

أليس هذا درس في أساسيات اللغة وهو فيما يخص الحروف والنطق بها كما يجب، بدون قَصٌّ ولا تمطيط ولا غيرها من المسميات التي نجدها في علم التجويد: ك "التشنيع، والتضييع" وغيرها من الصفات الأخرى: ك " التمضيغ، ولا بالتعويج، ولا بالترعيد، ولا بالتقطيع، ولا بالتطنين، ولا بالحصرة"، وهي الصفات التي يجب أن يتمتع بها كل تالٍ بالعربية، سواء أكان المتلو قرآنا أو غيره، ولننظر في هذا للقنوات الناطقة بالعربية(4) وما تقدمه من برامج ونشرات وما هي أحوال اللغة فيها.

ومن هنا فقضية اللغة تعد وحدة متكاملة، بما فيها من فروع وجزئيات قد يراها البعض بأنها خارج نطاق اللغة وعلومها، ولكن الواقع والمنطق لا يفرِّق بين الشيء وفروعه المكملة له ومقوماته التابعة له بطريقة أو بأخرى، فالعلوم التي تستخدم فيها أسس العربية أو حروفها أو شيء من علومها لسبب أو لآخر فهي تعد من صميم العربية وما يتبعها من ضوابط هنا أو هناك.

أما ما أقصده هنا وفي النقطة الثانية وبناء على ما حصل أخيرا وتحديدا فيما نراه في العقود القليلة والقريبة جدا من تقدم علمي، فلا يستطيع أن ينكره إلا مكابر، لأن ما ظهر من تطورات مذهلة غيَّرت المفاهيم وقلبت الأوضاع والموازين رأسا على عقب، ومن خلال ذلك فقد أزاح العلم وفي مختلف المجالات، اللثام على العديد من القضايا التي كانت مبهمة، وقرَّب للناس ما كانوا هم في حاجة إليه منذ أربعة عشر قرنا أو يزيد.

وهو ما يجب على اللغة العربية أن تواكبه ومن جميع النواحي حتى تستوعب ما استجد. ومثالنا في ذلك:

قوله تعالى: {وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضْ.. من حيث أمركم الله..}[2 البقرة 220].

وقوله: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ.. }[2 البقرة 172].

وفي غيرها من الأمثلة التي قد نجدها في العديد من الآيات والأحاديث النبويَّة الشريفة، كقوله صلى الله عليه وسلم: "..كل مما يليك"، ونهيه عن النفخ في الطعام والشراب، وما جاء عنه في اختناث الأسقية وغيرها من القضايا.

فلو عدنا للتفاسير القديمة والتي كانت تعتمد عن المأثور وما ذكره السلف الصالح، التي سبقت عصر العلم واكتشافاته، ولم تلحق بما توصَّل إليه العلم من اكتشافات مختلفة كما نراه اليوم، في مجال الفيروسات والميكروبات والجراثيم وما له علاقة بالمجهريات، وما توصل إليه العلماء والخبراء في عالم البكتيريا بأنواعها، إذ كانوا هم في عصور لم يتوصل فيها العلم ولم يعرف العالم لا الميكروبات السبحية ولا العنقودية(1). ولا البكتيريا العصوية ولا ما يعرف باللسانيات الحاسوبية وما شاكلها من أمور.

من هنا نستطيع أن نقول أن ما يسمى بالتفسير العلمي، سيكون له دوره ومكانه الايجابي، وقد يفي بشيء من متطلبات العصر، ويواكب الحياة بما فيها من تطورات وتعقيدات جمة، وقد يعمل على حل بعض القضايا المزمنة التي لا زالت تنتظر وقد يستجيب لما قصده الله تعالى في قوله: {مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيءٍ}[6 الأنعام 38].

والدليل على ذلك هو: لو عدنا لآية الحيض السابقة الذكر، وحاولنا استيعابها وفهمها من خلال ما جاء في التفاسير السابقة لعصر العلم واكتشفاته، لوجدنا بونا شاسعا وواسعا بينها وبين من يحاول تفسيرها حاليا، إذا وقف عمَّا وصل إليه الباحثين والدارسين لعالم الميكروبات والفيروسات والجراثيم وغيرها من التطورات كما أسلفنا، بعد أن ظهر ما يعرف بالميكروسكوبات والتليسكوبات والمجهريات وغيرها من الإلكترونيات ومشتقاتها، وما يخبروننا به في هذا المضمار من إكتشافات مدهلة ومفيذة في نفس الوقت.

وبالتالي سنقف على الحمكة من نهي الله تعالى عباده، عن معاشرة النساء خلال فترة الحيض بل تحريمه لذلك تحريما قطعيا، لأن مخالفة أمره يعد حراما، كما جاء في الآية الكريمة: {فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ}، ولماذ هذا الأمر وما سبب هذا الاعتزال المطلوب؟!

وهي المهمة الأساسية المرجوة من اللغة، التي نتحدث عنها ونستميت في سبيلها.

إذ أجاب العلم عن بعض تلك الأسباب وتلك التساؤلات، وربما سيأتي اليوم الذي سنقف فيه عن الكثير مما يخص هذا المجال.

ولا نستطيع أن نأتي بما ذُكر في هذا الخصوص، فذلك ليس مجالنا ولا مبتغانا، ولكن ربما سنذكر أمثلة مقتضبة فيما يعنينا ونحتاج إليه فيما يخصنا ونتحدث فيه.

إذ يذكر د. محي الدين طالو العلبي في قوله: " .. يجب الامتناع عن جماع المرأة الحائض لأن جماعها يؤدي إلى اشتداد النزف الطمثي، لأن عروق الرحم تكون محتقنة وسهلة التمزق وسريعة العطب، كما أن جدار المهبل يكون سهل الخدش، وتصبح إمكانية حدوث الإلتهابات كبيرة، مما يؤدي إلى التهاب الرحم أيضا أو يحدث التهاب في عضو الرجل، بسبب الخدوش التي تحصل أثناء الانتصاب والإحتكاك.

كما أن جماع الحائض يسبب اشمئزازاً لدى الرجل وزوجه فيصاب بالبرود الجنسي (العنة) "(1).

كما يضيف أيضا وهو متحدثا عن الأذى الذي في المحيض: ".. ويكون الرحم متقرِّحا نتيجة لذلك تماما، كما يكون الجلد مسلوخا، فهو معرض بسهولة لعدوان البكتيريا الكاسح.. وتقل مقاومة الرحم للميكروبات الغازية نتيجة لذلك، ويصبح دخول الميكروبات الموجودة على سطح القضيب، يشكل خطرا داهما على الرحم.

ومما يزيد الطين بلة أن مقاومة المهبل لغزو البكتيريا تكون في أدنى مستواها أثناء الحيض، إذ يقلّ إفراز المهبل للحامض الذي يقتل الميكروبات، ويصبح الإفراز أقل حموضة إن لم يكن قلوي التفاعل، كما تقلّ المواد المطهرة الموجودة في المهبل أثناء الحيض(2).

لهذا فإن إدخال القضيب إلى الفرج والمهبل في أثناء الحيض، ما هو إلا إدخالا للميكروبات في وقت لا تستطيع فيه أجهزة الدفاع أن تُقاوِم، كما أن وجود الدم في المهبل والرحم يساعد على نمو تلك الميكروبات وتكاثرها.

ومن المعلوم أن على جلد القضيب ميكروبات عديدة، ولكن المواد المطهرة والإفراز الحامضي للمهبل يقتلها أثناء الحمل(3)، أما أثناء الحيض فأجهزة الدفاع تكون مشلولة، والبيئة الصالحة لتكاثر الميكروبات متوفرة " (4).

زيادة على خطورة معاشرة النساء في المحيض، وما يترتب عن ذلك من مضاعفات خطيرة.

ويضيف د. البار قائلا: "الأذى لا يقتصر على ما ذكره من نمو الميكروبات في الرحم والمهبل الذي يصعب علاجه، ولكن يتعداه إلى أشياء أخرى، منها:

1- إمتداد الالتهابات إلى قناتي الرحم فتسدها، أو تؤثر على شعيراتها الداخلية التي لها دور كبير في دفع البويضة من المبيض إلى الرحم، وذلك يؤدي إلى العقم، أو إلى الحمل خارج الرحم، وهو أخطر أنواع الحمل على الإطلاق، .. وإن لم تتدارك الأم في الحال بإجراء عملية جراحية سريعة فإنها لا شك تلاقي حتفها.
2- امتداد الالتهاب إلى قناة مجرى البول، فالمثانة فالحاليبين فالكلى، وأمراض الجهاز البولي خطيرة ومزمنة.
3- ازدياد الميكروبات في دم الحيض وخاصة ميكروب السيلان "(1).

ويضيف قائلا: ".. فالأذى لا يقتصر على الحائض في وطئها، وإنما ينتقل إلى الرجل الذي وطئها أيضا، فإدخال القضيب إلى المهبل المليء بالدماء يؤدي إلى تكاثر الميكروبات، والتهاب قناة مجرى البول لدى الرجل، وتنمو الميكروبات السبحية والعنقودية، على وجه الخصوص في مثل هذه البيئة الدموية.

وتنتقل الميكروبات من قناة مجرى البول إلى البروستاتا والمثانة، والتهاب البروستاتا سرعان ما يزمن لكثرة قنواتها الضيقة الملتفة، والتي نادرا ما يصلها الدواء بكمية كافية لقتل الميكروبات المختفية في تلافيفها، فإذا أزمن التهاب البروستاتا فإن الميكروبات سرعان ما تغزو بقية الجهاز البولي التناسلي، فينتقل إلى الحالبين، ومنه إلى الكلى، وما أدراك ما التهاب الكلى المزمن، إنه العذاب حتى يحين الأجل.. ولا علاج "(2).

وقد تنتقل الميكروبات من البروستاتا إلى الحويصلات المنوية، فالحبل المنوي، فالبربخ، فالخصيتين. وقد يسبب ذلك عقما نتيجة انسداد قناة المني أو التهاب الخصيتين.

ويذكر د. البار نقلا عن البروفيسور عبدالله باسلامة، أن الجماع أثناء الحيض قد يكون أحد أسباب سرطان عنق الرحم(3).

فلننظر ولنمحّص في قوله تعالى الذي أمرنا فيه باعتزال النساء: {فاعتزلوا النساء في المحيض} (4).

وما انسحب عن هذه الآية الكريمة من تفسير وفهم لما جاء فيها، استنادا على ما تم التوصل إليه علميا وما تم اكتشافه طبيا وكلينكيا، هو ما يعنينا بخصوص بقية الآيات التي ذكرناها أو أشرنا إليها فيما يخص اللغة العربية وعلومها المختلفة، والتي تعين وتساعد على فهم الآيات القرآنية وتدبُّرها، وهو ما قد يمكِّننا من التعامل مع التحديات المعاصرة، التي قصدها هذا المؤتمر الذي نحن نعمل في نطاقه وتحت توجيهاته.

كذلك لو عدنا لقوله تعالى: {..كَمَنْ يَصَّعَّدُ إِلَى السَّمَاءَ}، وقارنا بين ما جاء في تفسير معنى هذه الآية قديما، وبين ما جاء فيمن يفسرها حاليا وبعد ما وصل الإنسان إلى سطح القمر، وما لاحظه العلماء من فوارق بين هذا وذاك، لتغيَّر المقصود من كلمة يصّعّدْ(1) وما يقصده تعالى من ضربه للأمثلة لمن يتدبَّر ولمن يتعض من أولي الألباب.

وبظهور الميكروسكوبات الدقيقة والمجاهر الكاشفة للمكيروبات والجراثيم والفيروسات الدقيقة المتمثلة في البكتيريا بأنواعها، والوقوف على الكثير من الدقائق التي كانت غائبة عنا في الماضي، نستطيع أن نفهم معنى تحريم الدماء والخمر ولحم الخنزير، ونفهم لماذا نهى النبي عن النفخ في الطعام والشراب، وكل ذلك بعد وصول العلم لتلك النتائج ومعرفة الكثير مما كان مجهولا، وبعد أن عُرف أن في جوف الإنسان ذاته، نوع من البكتيريا وهي تلازمه ولا تضره ما دامت وهي باقية في جوفه، أما في حالة اخراجها من الجوف بسبب النفخ مثلا إلى الطعام أو الشراب، فستنقلب وفي لحظات خاطفة إلى بكتيريا ضارة عليه وعلى غيره، وعليه فلننظر للنبي صلى الله عليه وسلم الذي نهانا عن ذلك منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، ولم نقف عن سبب النهي إلا بعد حوالي 1400عام، وهو ما يدل على أنه وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

فذالكم ما قصدناه من انحيازنا للغة العربية، وما نرمي إليه من ذكرنا لقوله تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا أَيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ}[38 ص 29].

في أول ما جاء في هذه الورقة المتواضعة والموسومة بـ " اللغة العربية وآدابها بين الواقع والتحديات".

ونحن لا نقف عند هذا الحد فحسب، بل الواجب يحتم علينا جميعا اظهار ما يمكن اظهاره في هذا المجال، لنتبث وبالحقائق الدامغة، أن العربية ليست بعاجزة ولا بقاصرة ولا بمتخلفة عن الركب، وإنما إن وجد فيها شيء من ذلك العجز أو ذلك القصور والتخلف، فهو يتمثل في مستعمليها والناطقين بها من أبنائها الذين تتقاذفهم أمواج وتيارت الثقافات المهيمنة على الساحة، تارة بالاستعمار وأساليبه النكراء، وتارة بالعولمة وما تحمله معها من متبطات فاعلة وهدامة.

وهنا فقد لا يتم الصمود ولا يكون التحدي بما تقتضيده الظروف من مواجهات إلا بتضحيات جمة، لا يقدر عليها إلا أولوا العزم من أبناء هذه الأمة الولادة وما أكثرهم، بسبب ما وعدهم الله تعالى من خيرات، كما في قوله تعالى: {إِنَّ الَذِّينَ أَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيئَةَ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدَينَ فَيهَا أَبَداً}[98 البيِّنة 7،8].

لأن الدفاع عن اللغة يعني الدفاع عن الدين، والدفاع عن الدين يعني الجهاد الذي آياته في القرآن هي أكثر من أن تعد وتحصى، والجهاد المقصود هنا لم يكن مشروطا بالقتال في الجبهات والدخول في الحروب وما يترتب عنه، بل يحصل ويكون بالعديد من الوجوه،

منها وكما جاء قي قوله تعالى: {أدْعُوا إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}]16 النّحل125]، وإذا لم يصلح هذا الأسلوب، وفُرض القتال فلسنا كلنا مطالبون بالالتحاق بالجبهات وامتشاق السلاح، بل هناك طرق ومساهمات أخرى لها مكانتها وفاعليتها كالتي جاءت في قوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّنَ قُوَّةٍ وَمِن رِبَاط الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنَ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ اللهُ يَعْلَمَهُمْ}[8 الأنفال 60](1).

وجهادنا في مجال اللغة لا ينحصر في وجه دون آخر، بل يتحقق وبكل الطرق والوسائل، فحتى الحث والتشجيع عليها باللسان يعد جهادا، كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يسطع فبلسانه فإن لم يسطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"(2).

وكذلك بالنسبة للعربية فكل ما يقدّم لأجل تعلُمها ونشرها والحفاظ عليها والعمل على استمرارها في المستقبل وأخذها لمكانها بين اللغات الفاعلة، فهو يعد من قبل الجهاد والنضال في سبيل اللغة، التي بدونها فلا نجد القرآن الكريم كما أنزل ولا الإسلام الصحيح وأحكامه الخالدة وهي كما ابتغاها خالقنا ورازقنا.

وذلك إن لم يكن من صميم هذا البحث أو هذه الورقة، فهو من صميم هذا المؤتمر الذي نادى الباحثين والمختصين من كل حدب وصوب لتدارك التحديات المعاصرة لهذه اللغة، التي أصبحت تؤرقنا جميعا ونحن في عقر ديارنا، بسبب ما نراه وما نسمعه من تخلي واضح عن لغة القرآن واستعمالاتها، نظرا للضوضاء الإعلامية الغربية المصتنعة والمستحكمة علينا وعلى أبنائنا، مما أبعدهم عن لغتهم واستعمالاتها الصحيحة، وإن استعملوها فتجدها وهي مشوهة في نطقها هي وحروفها ومخارجها، فالكثير منا لا يميِّز بين السين والصاد والظاء والضاء والزين والسين وغيرها من الحروف القريبة من بعضها في المخارج(3).

وعليه فإن ما يخص العربية والتحديات المعاصرة لا يتوقف عند معالجة ما يخص اللغة من حيث علومها وخصائصها الدقيقة، بقدر ما هو يتسع للمعاني الشاسعة والخالدة العظيمة في مضامينها المختلفة، فاللغة العربية لا تتلخص مهامها في استيعابها الضيق الذي لا يتعدى حدود الحروف ومخارجها المحدودة، بقدر ما يتسع هذا النداء لاحتواء الأهداف النبيلة المتمثلة في رسالتها الخالدة، وهي نشر الإسلام وما يترتب عن ذلك، وكما أسلفنا فالعربية بعد الإسلام أصبحت لها غاية مثلى، تضع على عاتقها هي ومن ينطق بها مسؤوليات جسام تتخطى كل اللغات في العالم، كما يجبُ الإسلام كل الأديان السماوية التي سبقته، فكذلك العربية رسالتها تتعدى كل الحدود والتوقعات ولا تتم إلا بتلك الأهداف السامية والنبيلة الخالدة.

من هنا فلا نعفي اللغة ولا نعفي أنفسنا، من المسؤولية الملقات علينا من خلال ما جاء في قوله تعالى وهو بالعربية: {كُنتُمء خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ}[3 أل عمران 110]، وغيرها من الآيات التي تكمل بعضها البعض، وتؤكد على المسؤولية الملقات على الناطقين بها، لقوله تعالى:

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلما يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الْصَابِرِينَ}[3 أل عمران142].

من هنا ومن خلال ما جاء في هذه الورقة، وما نادى به هذا المؤتمر عبر ما طرحه من اشكاليات ومحاور متعددة وهادفة، نستطيع أن نتنادى ونتكاتف ونقف أمام التحديات، كما وقفوا الذين سبقونا وعملوا على حل المعضلات وتجاوزوا السلبيات والصعاب(1)، ونحقق ما جاء في قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لَلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنْ أَكْثَرِ النَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ}[34 سبأ28]، وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون.

وما بعد العسر إلا اليسر وإن عزمت فتوكل. وبالله التوفيق والسلام

قائمة المصادر والمارجع:

المصحف الشريف

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الجيل بيروت.

- الأعلام قاموس تراجم، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، بيروت لبنان.
- أعمال مجمع اللغة العربية، د، محمد رشاد حمزاوي.
- المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مجلد 9، عدد 1، 2013.
- المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مجلد 9، عدد 2 أ، 2013.
- النوافح العطرة في الأحاديث المشتهرة، محمد بن أحمد الصفدي، دراسة وتحقيق محمد عبدالقادر عطا، مؤسسة الرسالة الثقافية، ط 1، بيروت.
- الهدي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، طرابلس، ليبيا، العدد الثامن، يناير 2015.
- دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، لمجموعة من الأساتذة، دار النفائس، الأردن، ط 1، 2001.
- صحيفة العَلم الليبية، الصادرة في 18. 8. 1969.
- صحيح مسلم بشرح النووي، مؤسسة علي سعيد، للتجليد.
- مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، العدد 2.
- مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، العدد 18.
- مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، العدد 22.
- مدرسة الكوفة ، مهدي المخزومي، مطبعة الحلبي، ط 2.
- عمرو النامي مسيرة عطاء في درب الخير، سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني، مكتبة الأنفال، عُمان، ط 1، 2008.
- إذاعة "منت كارلوا" المرئية، الناطقة بالفرنسية.
- صحيفة اللغة العربية الإلكترونية.

---

* سورة الزخرف الآية الثانية.

(1) . ملاحظة: وللعلم فقد بدأتُ في جمع وكتابة حيثيات هذه المشاركة المباركة بإذن الله تعالى، في يوم الجمعة 19 من رمضان الموافق لـ 24. 6. 2016، وذلك بعد لحظات من إذاعة خبر خروج بريطانيا من الاتحاد الأوربي، بسبب الاستفتاء الذي أجري بالخصوص، هذا اليوم الذي وُصف في أوربا باليوم المشؤوم، وفي بريطانيا بيوم الزلزال، وهذا يعني بالنسبة لنا كمسلمين الشيء الكثير، فخروج بريطانيا من الاتحاد الأوربي، يعني بداية نهاية هذا الاتحاد العنصري المدموم، الذي كان يضم 508 مليون أوربي، بما فيهم من شيوع وكفره لا يتفقون في شيء فيما بينهم ولا يربطهم ببعضهم رابط سوى حقدهم الظاهر والخفي على الإسلام، فهم بهذا الاتحاد أصبح ينطبق عليهم وللأسف ومع الفارق في التمثيل؛ قول النبي صلَّى الله عليه وسلم، وهو يصف ترابط المؤمنين: [.. ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد ..] . الذي تتربع في وسطه دولة الفاتيكان المسيحية . والكل يعلم ما تقوم به الفاتيكان وأتباعها في

سبيل القضاء على الإسلام ولغته العربية . هذه الدولة التي مساحتها لا تتعدى أربعين هكتارا، وسكانها لا يتجاوزون ألف نسمة. وبهذا قد نتنفس السعداء، فبانهياره قد تنهار "العولمة" البغيضة، ونتذكر قول الله تعالى في سورة الروم: {.. وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ..}[30 الروم 3]. وبإذن الله تعالى سيخِّف علينا الحمل، وأرجو أن يكون مؤشر لأفول نجم إسرائيل وتحرر القدس السليبة. ولا نستبق الأحداث.

(1) . وتأكيدا على أميِّته ما جاء في قوله تعالى: {وما كُنْتَ تَتْلُوا مِن قِبْلِهِ مِن كِتابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذً لاَّرْتَابُوا الْمِبْطِلُونَ}[29 العنكبوت 48].

(2) . {لِتَكُونَ مِن الْمُنْذِرِين بِلِسَانٍ عَرَبِّي مُبِينٍ}[26 الشعراء 194، 195].

(3) . وهذه اللغة وبعد نزول القرآن الكريم بها وانتشار الإسلام بها في شتى بقاع العالم، أصبحت لغة الجميع ولا تخص العرب وحدهم، فقد ساهم في نموها وتطورها وانتشارها واستمرارها كل المسلمين وخاصة النخب منهم الذين ظهروا فيما بعد، أمثال العلامة سيبويه (ت 180هـ) الذي ألف أعظم كتاب في نحوها وهو فارسي الأصل، وأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي الرومي اليوناني (ت392هـ) صاحب أعظم كتاب في العربية وفقهها وهو كتاب الخصائص، وغيرهما كثر ممن ساهموا في بناء صرح هذه اللغة وهم ليسوا من العرب، أمثال: أحمد بن محمد أبا سليمان الخطابي البستي الأفغاني (ت 388هـ)، وأبابكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت403هـ)، وعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت 471هـ)، وغيرهم ممن كانوا في الدراسات القرآنية وفروع العربية وآدابها. مجلة كلية الدعوة الإسلامية، 2/ 44.

فاللغة العربية بعد الإسلام أصبحت للجميع وبالجميع والأسبيقية لمن كانت له المقدرة والعطاء، وذلك كالإيمان الذي قال فيه تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ}[49 الحجرات 13].

(4) . وأقصد بالتطور هنا هو ذلك النمو والتقدم الذي نراه في بعض اللغات التي لا تخفى على أحد، وإلا التراجع والإضمحلال حتى الزوال، فكم من لغات سادت ثم بادت.

(1) . مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 22/ 274.

(2) . الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي كان إمام أهل البصرة، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء، ولد بالمدينة، وشّبَّ في كنف علي بن أبي طالب.

قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس بكلام الأنبياء، وأقربهم هديا من الصحابة، وكان غاية في الفصاحة.

لما وليَّ عمر بن عبد العزيز الخلافة، كتب إليه: إني قد ابتليت بهذا الأمر فانظر لي أعوانا يعينوني عليه. فأجابه الحسن: أما أبناء الدنيا فلا تريدهم، وأما أبناء الآخرة فلا يريدونك، فاستعن بالله. الأعلام للزركلي، 2/ 226.

فإذا كان هذا الحسن البصري وهذه مكانته وهو قد وقع في اللحن، فأين نحن من ذلك.

(3) . المصدر السابق، ص 275.

(4) . فالشعر يعدونه ديوان العرب.

(5) . مدرسة الكوفة، د. مهدي المخزومي، مطبعة الحلبي، ط 2، ص 51.

(1) . وعندما دخل قائدهم القدس منتصرا أتي إلى قبر صلاح الدين الأيوبي، ووضع رجله عليه، وخاطبه قائلا ها قد عدنا يا صلاح، وهو مما يدل على حقدهم وتصميمهم على ذلك.

(2). أحمد بن عبدالرحمن محمد بن مضاء بن عمير اللخمي ، أبوالعباس، عالم بالعربية، أصله من قرى شذونة ومولده بقرطبة، ولي القضاء بفاس ومراكش، توفي في اشبيلية، 592هـ، من كتبه: "تنزيه القرآن عما لا يليق من البيان"، "والمشرق في اصلاح المنطق" في النحو، "والرد على النحاة". الأعلام للزركلي، 1/ 146.

(1) طه بن حسين بن علي بن سلامة، من كبار المحاضرين في مصر، وأحدث ضجة في عالم الأدب العربي، وُلد في المنيا بصعيد مصر، وأصيب بالجدري في الثالثة من عمره فكف بصره. وهو أول من نال شهادة الدكتوراه في مصر، توفي 1973. الأعلام للزركلي، 231/3.

(2). مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 22/ 276 281.

(3). ولد النامي في نالوت بجبل نفوسة بليبيا، سنة 1939، وتحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة كمبرد في بريطانيا، وهو باحث وأديب ومفكر إسلامي، من الأساتذة الجامعيين الذين كانوا يشار إليهم بالبنان في ليبيا، وهو مغيب من قبل القذافي، منذ 1984 وحتى اليوم. معجم أعلام الإباضية، 3/ 665، دراسات عن الإباضية، عمرو خليفة النامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 9، عمرو النامي، مسيرة عطاء وخير، سلطان بن مبارك الشيباني، مكتبة الأنفال، عُمان، الطبعة الأولى 2008، ص 22.

(4). لم أعثر له على ترجمة.

(5). كاتب صحفي ولد في بن غازي بليبيا، أعدَّ أطروحته في الدكتوراه في الأديان المقارنة، هاجر لجنيف وأقام بها حتى الوفاة. عمرو النامي، مصدر سابق، ص 80.

(1). وهو ما رد عليه مصطفي الصادق الرافعي رحمه الله، في كتاب له، كان بعنوان: "المعركة".

والرافعي كما هو معلوم عالم في الأدب، وشاعر من كبار الكتاب، أصله من طرابلس الشام، توفي في طنطا بمصر 1937، له كتاب في إعجاز القرآن والبلاغة النبوية.

الذي مما جاء فيه وسطره فيه فيما يخص حسن الأداء في ترتيل القرآن والتحكم في مخارج الحروف من جمال وتأثيره في العرب عند سماعهم للقرآن، قوله: ".. فلما قرئ عليهم القرآن، رأوا حروفه في كلماتها، وكلماته في جملها، ألحانا لغوية رائعة؛ كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هي توقيعها فلم يفتهم هذا المعنى، وأنه أمر لا قبل لهم به". الأعلام للزريكلي، 235/7، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج 9، عدد 2/أ، سبتمبر 2013م، ص 165.

(2). عمرو النامي، مسيرة عطاء وخير، مصدر سابق، ص 210.

(3). هذا الرد جاء في أحد مقالاته المذكورة وكان بعنوان: "مهر الحضارة الغربية".

ومما جاء في ذلك الرد: ".. أن سرَّ قوة هذه الأمة وترابطها وتواقفها وانتظام أواصر الأخوة الكاملة بين أجزائها هو الإسلام .. وأصل منهاجه ودستور نظامه هو القرآن.. وقد سلك أعداؤنا سُبلهم .. للتعرف على كتاب هذا الدين ولغته وأدبه وفكره وحضارته .. والعاقلون يعرفون كذلك أن كل ذلك لم يتم لأن الغرب كان يفتش عن دين ليعتنقه أو لغة ليلتزمها، أو أدب يقتبس منه، ولكن كل ذلك يتم ليتعمق الأعداء في معرفة هذه الأمة التي يتربصون بها الدوائر، ويعدون العدة لاستئصال شأفتها، والقضاء على حضارتها، وتدمير وجودها، ومسخ وجهها الإسلامي الأصيل". المصدر السابق، ص 208، 209.

(4). عمرو النامي، مصدر سابق، ص 208.

(5) . والنيهوم انتقده ورد عليه بسبب خطاؤه واتهامه للقرآن، أكثر من واحد، من بينهم د. المرزوقي في موضوع كان بعنوان: "المستشرقون وقضية جمع القرآن الكريم .."، فقد اتهمه بأنه قام بما قد يعجز عنه الغرب ضد الإسلام والقرآن الكريم، وذلك من خلال منهجهم التشويهي. مجلة الهدي الإسلامي، وزارة الأوقاف الليبية، العدد 8/ 59.

(6) . المصدر السابق، ص 80.

(7) . نفسه، ص 81.

(8) . الصادرة في 18. 4. 1969م.

(9) . ومما ذكره النامي في رده عن النيهوم، ما نصه: ".. (خزعبلات) النيهوم، .. أن كل ما فعله [النيهوم] هو أنه عدَّل قليلا في عقيدة اليهود في هذه المسألة، وجاء لِيُزَوِّرَها على القرآن من غير مستَنَدٍ ولا دليلٍ". المصدر السابق، ص 82.

(1) . والقصد هنا كما يوضحه النامي رحمه الله. هو: ".. وواضح أن القصد من هذه الدعوة الهدامة وخلاصته أن يجيء يومً ننسى فيه الحرف العربيِّ، ويُحجب كل ميراثنا الكريم العزيز، الذي كُتب وطُبع به عن الأجيال التي تجهله، فتنقطعُ صلتنا بالقرآن وتُراث السلف". عمرو النامي، ص 212.

(2) . سعيد بن فاضل بن بشارة عقل، ولد بالدامور بلبنان، كانت له صحيفة واشترك في تحرير العديد من الصحف ، قتل شنقا في بيروت إن كان هو المقصود، الأعلام للزريكلي، 3/ 99.

(3) . عمرو النامي، مصدر سابق، ص 208 . 213.

(1) . وذلك من خلال ما جاء في قوله تعالى: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}[15 الحجر 9]، فبحفظه للقرآن يتم حفظ هذه اللغة.

(2) . الذي تتضاعف فيه المعرفة كما يذكر عالم المستقبليات الأمريكي(بمكنسيتر فوللر)، الذي أقرّ بأن المعرفة تتضاعف خلال سنة أو سنتين، وهو ما يكون سبباً ضاغطا على اللغة العربية ونموها وترجماتها وملاحقاتها للأمور. العلوم الاجتماعية والإنسانية في عصر الثورة المعلوماتية، صحيفة اللغة العربية الإلكترونية.

(1) . حديث مشهور.

(2) . ويا ليت نستفيد من الدول الغربية حتى في معاملاتها وعلاقاتها مع بعضها، التي نحاول أن نحتدي بها ونحاكيها في كل شيء، حتى في طريقة الإمساك بالشوكة عند تناول الطعام، فنجد الكثيرين منا ولمسايرة الغرب فيترك اليمين ويقبض الشوكة بالشمال، حتى لا يقولون عنه أنه متخلف.

ففي المذهبية يا ليت نقتضي بهم، فهم في مصالحهم واستعمارهم للآخرين، يجاملون بعضهم البعض ويتنازلون عن مصالحهم لبعضهم البعض، ولا تقوم بينهم كما تقوم بيننا بسبب المذهبية المتخلفة، لا منازعات كلامية ولا حروب بالأسلحة الفتاكة والمحرمة دوليا، كالتي تتقد ونراها بيننا يوميا ونحن ندعي الإسلام والإسلام منا في هذا براء.

(1) . فالأمر بالنسبة للغة وناطقيها جد خطير والمستقبل أراه أخطر.

أعطيك مثالا حيًّا جرى في يوم 28. 7. 2016 وأنا في البيت حيث أدير مؤشر التلفاز، وإذا بي أقع على القناة الفرنسية اللعينة الناطقة بالعربية "منتِ كارلوا"، فهذه القناة تتبع بطريقة أو بأخرى للفاتيكان التي أشرت لها في أول ملاحظة في هذا البحث، وهي موجهة توجيها دقيقا وخطيرا وهادفا، ضد أجيالنا ودِيننا الحنيف، ولا أستطيع أن أصف الصورة أو أن أنقل الواقع إلا بالعودة للبرنامج

المذكور الذي بُثَّ في التاريخ المذكور وتحت عنوان "فقرة الممنوعات"، لنرى الغرائب والعجائب التي مرت بي وشاهدتها في ذلك اليوم، وهي لا تتفق ومثلنا العليا ولا ترضى بها قيمنا الخالدة، والتي منها ما شاهدته كذلك في ذلك اليوم، فيما يخص الانتخابات الأمريكية، إذ ظهر أوباما وهو عبارة عن زنجي أفريقي أمريكي، وهو يعانق كليري زوجة الرئيس الأمريكي السابق كلنتن، وكل منهما ممتشق للآخر ويطبطب وبحرارة على ظهر صاحبه وأمام الملأ، والرئيس كلنتن واقفا مع بقية الجمهور ويصفق مع المصفقين ويهتف مع الهاتفين وبكل حرارة لذلك العناق ولتلك القبلات.. .

فنقل مثل هذه المشاهد في مثل هذه القناة وهو موجه للعرب المعروفة قيمهم مسبقا، لم يأت من فراغ بل هو ممنهج ودقيق التوجيه ... والأهم من هذا ما بُث من نفس القناة وفي نفس الفقرة والتوقيت بتاريخ 4. 8. 2016، وهو فيما يخص المرتدين المسلمين ويا ليت شعري.

(2). وإذا كان وحسب قول منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، وفي تقريرها 2010 المشار إليه في صحيفة اللغة العربية الإلكترونية، إذ تذكر بأن العالم الآن أكثر حاجة من أي وقت مضى، إلى العلوم الاجتماعية والإنسانية وذلك للتصدي للتحديات الكبيرة التي تواجه المجتمعات البشرية. =

= فاللغة العربية وما يتبعها التي تعد جزءا من العلوم الإنسانية والاجتماعية، قد تقع عليها المسؤولية في هذا الشأن أكثر مما مضى، في سبيل هذا المجتمع الإنساني الذي سيطرت عليه المادة وأصبح تائها، ولم يجد من يأخذ بيده ويرشده للصواب، لا فكريا ولا روحيا، وذلك حسب ما جاء في الآية الكريمة التي سبق ذكرها {كنتم خير أمة أخرجت للناس..}.

(1). فتلك المسميات أو المصطلحات دخلت إلينا ومن دون إذن منا، واستقرت بيننا ونتعامل بها شئنا أم أبينا، أُدخلت في المعاجم أو لم تُدخل أُقرت من قبل المجامع العربية أم لم تُقر، فهي موجودة وفرضت نفسها ويتعامل بها القاصي والداني منا، ولا يستطيع وحسب الواقع أن يقصيها أحد وهذه هي العولمة بعينها.

(1). وهنا وعلى ذكر المجامع اللغوية وما يتبعها من معاجم، إذ ولابد من التوقف عندها ولو لبرهة، فالمجامع العربية التي ظهرت بعد انحسار الدولة العثمانية، وتنهنهت اللغة العربية، وبدأت تطل وبصورة رسمية من هنا وهناك.

إلا أن ما ترتب عن تلك الفترة من ظهور لعدة مجامع، كالتي نجدها في سوريا والعراق ومصر والأردن وغيرها، فطريقة ظهورها كان معطوبا أصلا وأصبح جبرها صعبا، ولا يمكن اصلاحه بالطريقة التي تسير عليه الآن، إن لم تتحد أو تتوحد في عملها وما تنتجه من مصطلحات متعددة ومتنوعة ومتضاربة أحيانا، وهو ما قد يرجعنا بالنسبة للغة للمرحلة التي سبقت الإسلام، إذ كانت لكل قبيلة عربية لغتها ولهجتها، حتى أن أتى النبي صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن بالقريشية، التي كانت أقرب اللهجات للعربية الفصحى، وتم توحيدهم على تلك اللغة وهي لغة القرآن.

فالمجامع الحالية إن تركت على ماهي عايه، فسيأتي يوما ونجد فيه عدة لغات عربية، بدلا من لغة واحدة.

(2). أعمال مجمع اللغة العربية، د. محمد رشاد حمزاوي، ص 545.

(3). وهذا لا يختلف كثيرا عما ذكرناه بخصوص المذاهب الإسلامية وما وقعت فيه من تنافر مقيت.

(4). مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 18/ 496.

(5). فإذا كان هذا هو حال المجتمعين أو الباحثين، سواء كانوا في صورة أفراد أو مؤسسات كمجامع اللغة، فكيف هي منتجاتهم وما نوع الثقة التي ستعطى في مصطلحاتهم التي يتوصلون إليها؟!.

وتنازلهم في هذا عن العربية مهما كانت الأسباب والمسببات واستعمالهم لغير العربية في مثل هذا، هو في حدذاته جريمة كبرى نكرا، ولا يمكن السكوت عليها، فإذا كان متخصصوا اللغة يستعملون لغات أخرى في سبيل نقاش أو علاج قضايا في اللغة العربية ذاتها، أليس هذا هو اعتراف صريح ومؤكد وموثق بعدم صلاحية اللغة العربية، وهو دليل قاطع على قصورها وعدم قدرتها على النمو والتطور، وهو ما يوجب هدم تلك المؤسسات على من فيها، واللغة لها أبناؤها ومن هم حريصون عليها، كما قال أبي طالب: أنا لي إبيلي وللبيت رب يحميه، وهذه اللغة فهي كذلك متكفل بها من أنزل بها قوله تعالى: {وهذا لسان عربي مبين}[16 النحل 103] .

(1) . صحيح مسلم بشرح النووي، 16/ 85، فضل الصحابة.

(2) . ودليلنا في ذلك وكمثال ما أوردته الباحثة، أ. أمال بنت سيف البلوشية، في صحيفة اللغة العربية الإلكترونية، القائلة بأنه: يُعد القرن الثاني الهجري، البدايات الرائدة لادراك الأصوات بالمعنى، لدى علماء العلوم العربية، مثل الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه، إذ أوجدوا إشارات الصلة بين اللفظ ومدلوله.. وخاصة في اللفظ القرآني الذي تجلى فيه الإعجاز القرآني والبلاغي، كما في قوله تعالى: {كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون}[41 فصّلت 2].

فالمتأمل في بلاغة القرآن الكريم يلحظ الانسجام الصّوتي في تكوين كلماته ؛ المؤدية في تشكيل المعنى المراد إيصاله من ربّ العزة إلى بني البشر سواءٌ أكان للسامع أو القارئ، العاميّ أو العَالِم أو المتعمق علمًا.

فمثل هذه الأمور اللغوية لم نجدها في القرن الهجري الأول أو فيما سبقه، لأن اللغة وكما سبق وأن أشرنا فلن تنضج ولم تصل لمثل هذا إلا فيما بعد.

(1) . المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج 9، عدد 1/ أ، 2013، ص 156.

(2) . ويقال له ابن الصيرفي، أحد حفاظ الحديث، ومن الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره، له أكثر من مئة تصنيف، منها التيسير في القراءآت السبع. الأعلام للزركلي 4/ 206.

(3) . المجلة الأردنية، مصدر سابق،157، 159.

(4) . التي تفوق في عددها 190 قناة عربية.

(1) . دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، لمجموعة من الأساتذة، دار النفائس الأردن، 1/ 182.

(1) . المصدر السابق، ص 178.

(2) . وهنا يجب أن نتذكر قوله تعالى: { وفي أنفسكم أفلا تبصرون}[51 الذاريات 21].

(3) . هنا ورغم أن النص المقتبس والمنصوص عليه لا يجوز التدخل فيه أو تغيره، وإنما السياق والصواب حسب رأي يقتضي أن يكون على النحو الآتي: "أثناء الظروف العادية أي في غير فترتي الحيض والنفاس وهي الفترة التي تكون فيها المرأة صحيحة ومعفاة من الحيض والنفاس، وكذلك الفترة التي تكون فيها معافاة رغم أنها غير حامل".

(4) . المصدر السابق، ص 179.

(1) . نفسه، ص 180..

(2) . المصدر السابق، ص 182.

(3) . نفسه، ص 183.

(4) . المصدر السابق، ص 182.

(1) . فكلمة يصْعَّد ربما لا نعيها ولا نفهمها ولا نتصورها قبل عصر الفضاء، أما بعد ارسال السفن الفضائية وما ترتب عنها، من معرفة انعدام الجاذبية عند البعد بمسافة عن سطح الأرض، وما يترتب عن ذلك من فقدان للوزن بسبب انعدام الجاذبية وانعدام الأكسجين، وغير ذلك من التغيرات والتطورات والمعطيات، وهو ما يجعلنا نعي ونتصور معنى يصْعَّد في السماء، وبعد تعرفنا عما سبق ذكره فبمجرد سماع أحدنا كلمة يصْعْد قد يصاب بالإغماء والعياذ بالله.

(1) . فالله تعالى وفي هذه الآية الكريمة لم ينادنا بأن نلتحق بالجبهات، بل أمرنا بأن نعد لهم القوة بكل وسائلها المختلفة، وهو ما يعني في اللغة أن نساهم بما نستطيع وبما أمكن من التعليم والحفاظ عليها ومحاربة الظواهر التي تقضي على اللغة وعلومها، وغيرها من الوجوه السلبية.

(2) . صحيح مسلم بشرح النووي، مصدر سابق، 2/ 22، النوافح العطرة في الأحاديث المشتهرة، محمد بن أحمد الصفدي، الحديث رقم: 2154، ص 379.

(3) . وهو ما أصبح له خطورته على اللغة وجمالها، وهذا وبسبب تحديد مساحة البحث وعدد أوراقه مسبقا، فلا أستطيع طرحه ومناقشته هنا، وإنما أحيل القارئ الكريم على مقال كتبنه الأستاذة نوال بنت سيف البلوشية . ، عبر موقع صحيفة اللغة العربية الإلكتروني، تحت عنوان: "الانسجام الصوتي بين جَمَال المبنى وسُمُو المعْنَى في القرآن الكريم". وذلك لمعرفة ما أبتغيه هنا.

(1) . وتأكيدا على نمو اللغة العربية وعلى ما ذكرناه بخصوص عدم اكتمالها قبل الإسلام، الذي أشرنا إليه في بداية هذه الورقة، نرد ما يؤيد ذلك وهو ما ذكرته الباحثة العمانية أ نوال بنت سيف البلوشية.